مكتبة الشيخ زكريا

سلسلة
كلمات داعية
لقلوب واعية
(6)

خمسة
افتراءات على
أعلـــى المقـــــــامات

زكريا على سلمان
آل قضاة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ
مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْـــكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنـــكُمْ
مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ كَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾

(الحج:5)

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ
قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ
قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

(الرعد:16)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً
يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ))

(الزمر:9)

المقدمة:

هناك حملة تشهير واسعة النطاق على علماء الأمة، وليس المقصود ذواتهم. ولكن المقصود بها إبعاد الأمة عن قيادتها الحقيقية، أولاً، وللطعن بالدين ثانياً، ثم لإفساح المجال أمام احتلال مواقعهم في قلوب الناس لكي يقولوا لهم: إنا نحن الناس، ونحن قادة الناس، ونحن الأجدر بالتبجيل.

ولم يقف الحد عند هذا التطاول، بل قام آخرون باسم العلم والدين، بالطعن بأنبياء الله عز وجل وإلباسهم لبوس الخطيئة، فحاكوا القصص الخيالية، والروايات، والخزعبلات، خدمة لأعداء الأنبياء، وأعداء الإنسانية.

ومن المعلوم عند كل من يعقل أن الأنبياء مبلغون عن الله عز وجل، فهم معصومون عن كل كبيرة وصغيرة، وعن كل ما يخل بالمروءة، وهذا معلوم لدى القاصي والداني، والطائع والعاصي، حتى أن الشاعر المتغزل قال:

لئن أسأت في هواكم أدبي فالعصمة لا تكون إلا لنبي

فهذا الشاعر رغم تغزّله لم يستطع أن ينسب للأنبياء إلا العصمة، ولا للمرسلين إلا الاحترام والتبجيل.

وتخطى آخرون حدود البشرية كلها، فأرادوا أن يدنسوا نسبهم إلى أبيهم آدم، فنسبوهم إلى القردة، خدمة لإخوان القردة والخنازير. مستغلين احترام الناس للعلماء الذين أتوا بمخترعات حديثة، و أدوية مفيدة.

وأتى هؤلاء الجهلة ولبسوا لبوس العلماء – ممن أفنوا أعمارهم في البحث عن الحقيقة وأصبحوا يتحدثون عن نظريات فاسدة، مستغلين أيضا فقدان الكنيسة في الغرب لسيطرتها على الناس، وذلك لوضوح بطلان ما كانت تنادي به من قبل مثل: أن الأرض ثابتة وأنها غير كروية، على عكس ما صرح به القرآن قبل مئات السنين، وما قرره علماء المسلمين قبل غيرهم بعدة قرون. قال تعالى:﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[1].

ثم قام آخرون فتطاولوا على مقام الربوبية ... فادعوا انهم هم الذين يخططون لإطعام النـــاس، وكأن الباري سبحانه ليس قادراً على إرزاق من يخلقهم إذا شاء، أو حرمان المترفين من الطعـــام وهو أمامهم إذا أراد.

فها هم مرضى القرحة والسكري والضغط – نسأل الله العافية –يرون أطايب الطعام أمامهم ولا يستطيع أحدهم أن يمد يده أو أن يذوق شيئاً مما يراه أمامه.

ثم جاء بعض ناكري الجميل، ممن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، فادعوا علم الغيـــب وغـــاب عنهم أن كل هذه العلوم التي بأيديهم لم يكونوا ليتوصلوا إلى شيء منها لو لم يرد الله لهم ذلك.

فكم من حيوان هو أكبر جثة من بني آدم هو أبكم لا ينطق بكلمة، وكم من حيوان يتقن الطيران لم يتعلم ذلك في معهد ولا جامعة.

وعلى كل حال فلا بد لي – وأنا صاحب القلم الضعيف– من أن أردَّ تلك الشبهة وأناقشـــها بكـــل عقلانية وبساطة ووضوح، دون اللجوء إلى اللف والدوران.

وقد جاء كتابي هذا صغيراً في حجمه.. لكنه من قبيل المختصر المفيد، عسى الله أن ينفعني به وأن ينفع به غيري، ولعلي أجد دعوة صالحة من أخ صالح في ظهر الغيب ألقى بهـــا ربـــي يـــوم القيامة.

أحب الصالحين ولست منـــــهم لعلـــــي أن أنال بهم شفاعـــة
وأكره من بضاعته المعاصـــي وإن كنا سواء في البضاعة

زكريا علي سلمان
آل قضاة

(1) سورة النازعات آية (30).

الفصل الأول

افتراءات على العلماء

بينما كنت القي محاضرة في أحد المواقع، وكان موضوعها " نشر الإسلام واجب كل مسلم " وليس هو واجب العلماء فقط وبعد انتهاء المحاضرة توجه إلي أحدهم بالسؤال التالي:

يا شيخ لماذا تقولون مالا تفعلون؟! وأضاف قائلاً:

لقد كان أحد العلماء يخطب عن وجوب الاحتشام في اللباس فقال له أحدهم: يا شيخ لماذا ابنتك تلبس القصير؟ فأجابه الشيخ قائلاً: خذوا من أقوالي ولا تأخذوا من أفعالي.

هنا أجبت السائل قائلا: أشكرك على هذا السؤال.

وتعجب الجالسون من هذا الشكر فقلت: نعم [2] أشكره للأسباب التالية:

1-أشكرك على انك عرَّفتني على أن بعض الذين يجلسون إلى العلماء لا يفهمون ما يُقال لهم.

فلقد كان موضوعنا: أن نشر الإسلام هو واجب على كل واحد منا، وها أنت تضع اللوم على عاتق المشايخ فقط، وهذا مناقض تماما لما قد تحدثنا عنه في محاضرتنا الطويلة هذه.

2- إن هذه القصة حكيت عن عدة علماء، ففي حكاية أخرى انه قال (المقصوفة يلبق لها) أي أن ابنته حلوة. وأن الحكم لا ينطبق عليها. فأي الروايتين هي الصحيحة؟.

3- أن هذه القصة حكيت عن شيخ فاضل قريب لي – أعرفه كما أعرف نفسي – وكان عاقلا ذكيا متزنا، لا يهادن الباطل، بل وينشر الفضيلة في كل مكان، يحبه الجميع، كلامه طيب على القلب، مريح للنفس مزيل للشبهات من الأذهان، يقع كلامه في القلب وقوع الماء البارد على عطش الصيف، يثق به الناس أي ثقة، مجد، صبور، عالم، شهم، كريم.

ولقد جاء إلى بيته رجلٌ مع زوجته زائرين له، فدخل الرجل إلى غرفة الضيوف بينما ذهبت زوجته وجلست مع زوجة الشيخ، وكانت امرأة الضيف تكثر الالتفات ثم سالت قائلة:

متى ستأتي ابنتكم من الجامعة؟ إنها تأخرت كثيرا؟

فقالت لها زوجة الشيخ: ومن قال لك أن لنا ابنة في الجامعة!؟

لقد تزوجنا منذ عشرة أعوام فقط، وعمري 25 سنة وعمر الشيخ 35 وهاهم أولادنا فلان وفلان وفلان وفلان وهذه ابنتنا لا تزال ترضع، فأين الجامعة يا هذه: فبهتت الضيفة وقالت:

لعنة الله على الذين يكذبون عليكم، فوالله لقد قلت لابنة الجيران: لماذا تلبسين القصير ! فقالت لي:

---

(2) كان أحد المحاضرين كلما تكلم رجل بكلمة قال له:أحسنت ... وفي أحد الأيام تكلم أحدهم بما لا يهضم إطلاقا فقال له المحاضر، كعادته: أحسنت، فقيل له: وما وجه الحسن حتى تقول له أحسنت؟! فأجابهم قائلا: أن هذه الكلمة لو بقيت في جوفه لقتلته، فلما أخرجها من جوفه قلت له: أحسنت.

اذهبي إلى ابنة شيخكم فلان، فإن ابنته تركب في سيارة الفولفو وتذهب لوحدها مع السائق إلى الجامعة وعندما قالوا له: لماذا يا شيخ تقول ما لا تفعل؟ قال: خذوا من أقوالي ولا تأخذوا من أفعالي.

4-وافترض أن هذه القصة الأولى -التي أوردتها أنت- قد حدثت فعلا، فمن المسؤول عن هذا الشيء؟ !

هل الشيخ هو المؤثر الوحيد على ابنته؟!أم أن رفيقات السوء يؤثرن، ومعلمات السوء يؤثرن؟!

فإذا كنت أنا مثلا أُلبس ابنتي اللباس المحتشم، وقامت ابنتك وابنة الجيران وبقية طالبات المدرسة والمعلمات بالاستهزاء بها، فقررت -من شدة الضغط عليها- أن تخلع اللباس المحتشم، فهل أكون أنا المسؤول عن ذلك فقط، أم المجتمع بأكمله؟!.

(فأجاب جميع الحضور بان المجتمع كلهم مشتركون في ذلك).

5- افترض أن ابنة الشيخ قالت لوالدها: يا والدي إما أن انتحر وإما أن البس القصير، فقل لي بربك ماذا يفعل الشيخ؟ ولو نفذت تهديدها فهل ترحمه أنت؟ أم هل ستغلق أفواه الناس عن التكلم عليه، أم إنك أنت وأمثالك ستتكلمون وتقولون: الله اعلم لماذا انتحرت؟!

وقبل أن أكمل النقاش، أود أن أنوه بأنني لا أدافع عن نفسي، فزوجتي تلبس الغطاء على وجهها، ووالدتي وأخواتي الأربع، بل ونساء إخوتي كلهن كذلك.

6-يا هذا هل الشيخ معصوم عن الخطأ؟ أم أنت لجهلك تعتقد بان كل أقارب الشيخ معصومون عن الخطأ أيضا؟ ألم يكن أحد أبناء سيدنا نوح عليه السلام كافرا؟! فهل يلام سيدنا نوح على كفر ابنه؟!أم أن كلّ إنسان يحمل وزر نفسه تصديقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(الأنعام آية (164).

نعم: لو قصّر الشيخ في الموعظة لكان ملاماً، لكن الشيخ في هذه الأيام يسلط بثه الديني عليكم، بينما يقوم المشوشون بتسليط البث الشيطاني على أولاده، وكما تعلم فالحرب سجال:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(التحريم آية (10).

والخيانة هنا بمعنى إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

7- إننا نريد أن نحرم المشايخ حتى من أبسط الحقوق الإنسانية، فإذا ضحك قلنا: عجيب، وهل الشيخ يضحك؟! وان تزوج قلنا: وهل الشيخ يتزوج؟! وان ركض أو لعب رياضة قلنا: وهل الشيخ يفعل هذا؟!

ولقد جاء رجل إلي وقال: لقد خربت الدنيا قلت له: وكيف ذلك؟ قال:الشيخ الفلاني قد اشترى اليوم ثلاجة ! فهل هذا الرجل رجل أم حيوان يمشي على رجلين؟!!!

8- إن بعضهم ينظر إلى المشايخ بمنظار النقد وكما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

فان أكل الشيخ كثيرا قالوا: بلعنا. وإن أكل قليلا قالوا: لماذا يتخاجل؟ وان كان مقتصدا قالوا لماذا هذا التباخل؟ وإن كان كريما قالوا: من أين له هذا؟ وان تكلم على المنبر عن الموت قالوا: الشيخ لا يهتم بأمور السياسة، وان تكلم بالسياسة قالوا -لجهلهم-: ما دخل الدين بالسياسية؟ وإن دارى الوضع، قلنا الشيخ خاف على حاله، وإن تكلم بشجاعة حتى وضع بالسجن، قلنا: خرجه يستأهل...طويل اللسان.

فهل هذه الأمة التي تعامل المشايخ بهذه المعاملة تستحق النصر أو الكرامة من الله؟ أم الأحرى بها أن تُلقى على مزابل التاريخ؟!

9-وحين يرزق الله أحدنا بولد ذكي ندرسه طبيبا، فإذا رزقنا بآخر قوي: علمناه طيارا، فإذا زادنا بثالث "ملحلح" قلنا سنعلمه محامي، فإذا رُزقنا برابع أعور أو أعوج أو أهبل (تأكل الدجاجة عشاءه كما يقولون) قلنا: مخطوط منقوط يا ولدي، شيخ، والله لن أحرمك منها يا ولدي، فيدرسه شيخاً.

10-وعندما جاءا لاستعمار إلى بلاد الإسلام، كان العلماء هم قادة الثورات للجهاد والتحرير، وإزالة الاستعمار، كالشيخ عبد القادر الجزائري، والشيخ السنوسي، والشيخ عز الدين القسام، وغيرهم كثير[3]

11-وعندما أراد دهاة الاستعمار أن ينتقموا من المشايخ، أمسكوا بزمام التوظيف وقالوا: لا نوظف إلا من يحمل شهاداتنا، فاضطر الناس إلى التعليم عندهم، وتركوا المشايخ، فاحتلوا القلعة الأولى، ثم قالوا:

معلمو العلوم والرياضيات واللغات الأجنبية يعطون ثلاثة أضعاف رواتب معلمو اللغة العربية والتاريخ والدين بحجة أنهم نادرون – قانون الندرة – فاحتلوا القلعة الثانية، حيث أن الأذكياء صاروا يتوجهون إلى دراسة اللغات الأجنبية وأصحاب المعدلات القليلة يتوجهون لدراسة الدين، واللغة العربية، والتاريخ، وبذلك احتلوا القلعة الثالثة.

---

(3)راجع كتاب الإسلام وحركات التحرر العربية لشوقي أبو خليل والذي يثبت فيه أن اكثر من 90% من حركات التحرر ضد الاستعمار في القرن العشرين إنما كانت على أيدي العلماء المسلمين (المشايخ).

ولكن عندما أصبح الأطباء والمهندسون كثيرين، وأصبح المشايخ أقلاء، لم يعاملوهم بقانون (الندرة) هذا، فانكشف بذلك مكرهم وخداعهم، وأن قوانينهم كانت بهدف دفن الإسلام.

نعم لقد فهمنا ذلك...ولكن بعد فوات الأوان.

فهل للأمة بعد هذا أن تطالب المشايخ بان يخلّصوا الأمة من ضلالها، وان يحلوا جميع مشاكلها، وهم هم الذين حرموا المشيخة من أبنائهم الأذكياء؟!

نعم إن هناك شبابا – والحمد الله– ممن درسوا الشريعة كانوا أذكياء، بل عباقرة لم تنطل عليهم اللعبة، كما أن كثيرون ممن درسوا الطب والهندسة، وبقية العلوم، عرفوا أن خلاص البشرية إنما يكون بإتباع هذا الدين الحضاري المتميز.

هؤلاء وهؤلاء هم فقط الذين نجوا من حبائل الاستعمار على عكس ما كان يُخطط لهذه الأمة.

12– ثم أن بعض وزارات الأوقاف توظف بعض أصحاب الاحتياجات الخاصة(المعوقين، أو الفقراء) بمهنة خادم مسجد –رحمة بهم– ومع الأيام يرفعون إلى رتبة إمام، إضافة إلى الذين درسوا الشريعة من أصحاب الاحتياجات الخاصة، ووظفوا بمهنة إمام أصلاً.

وبذلك يظهر أن أغلب الأئمة هم من هذه الفئات، مما يعكس تصوراً عند الناس بأن المشايخ هم أدنى فئة في المجتمع، ولا يجوز أن يؤبه لما يقولون.

13–وان من الظلم، ومما يثير الاشمئزاز أن يطلق على كل من يربي ذقنا، لقب(شيخ) بل وإنهم يسمون السحرة والمشعوذون شيوخاً، وهذا ظلم فوق ظلم، لا تتعامل به إلا أمة لا تعرف رأسها من رجليها.

والمصيبة أنه ولشدة خبلنا وقلة عقولنا تنطلي علينا اللعبة، فكل من لبس العمامة، أو امسك القلم، أو حفظ بعض الأحاديث نثق به ثقة عمياء مطلقة، حتى إذا ما انكشف سحره قلنا: المشايخ مزيفون بدل أن نقول: أننا مخبولون! فلماذا كان إذاً علم مصطلح الحديث؟! وعلم الرجال؟!

ألم يقل ذلك العالم: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ (4)

14– ثم جاء الاستعمار إلى الأزهر الشريف فلاحق العلماء الأفذاذ وطاردهم، ثم حين اختار البقية من العلماء المهادنة، تلاعب الاستعمار بالأزهر الشريف بأساليب شتى ثم سلطوا كلابهم، في الجرائد والمجلات تنهش بالأزهر الشريف وعلماءه.

15–نعم إنني أعترف بأن هناك علماء لا يصلحون لأن يحملوا العمائم على رؤوسهم، ولكن هذا لا يخل بعقيدتنا، ولا بدفاعنا عن العلماء العاملين.

---

(4) رواه مسلم في مقدمة صحيحه14/1 عن محمد بن سيرين.

إن المغالطة في الموضوع تكمن في ظن البعض أن الشيخ معصوم عن الخطأ، وهنا يكمن اللبس في الموضوع الذي كشفناه في أول المحاضرة، فها هو الإمام مالك –رحمه الله– يقول:

كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر – وأشار إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم – وبالإجماع فإن الأنبياء وحدهم هم المعصومون عن الخطأ، فالمشايخ الذي يخطئون لا يجوز أن نحمل خطأهم على الإسلام فالإسلام لا يقيَّم بالرجال، ولكن الرجال تقيَّم بالإسلام فنقول فلان مستقيم وفلان غير مستقيم [5].

16– ثم إننا نفترض أن كل من لبس العمامة فإنه لبسها عن قناعة، وليس هذا صحيحا؛ لأن هناك طلاب قد درسوا الشريعة لا حبا في الشريعة، ولكن لأن معدلاتهم لم تكن لتسمح لهم بالدخول إلى الجامعة إلا من خلال كلية الشريعة، فدرسوا الشريعة على مضض، بالنية الباطلة.

17– ثم إننا نفترض حسن النية في كل الناس، أَلا يندس بعض أعداء الإسلام بين صفوف العلماء، ويتصرف عن قصد أو عن غير قصد، تصرفات باطلة، حتى يكرّه الناس بالعلماء.

أَلا تلاحظ معي أن بعض الذين لا يتقنون أي صنعة، يمكن أن يلبسوا العمائم ويَقْرَءُونَ القرآن في المآتم، حتى يسيئوا للقرآن نفسه عدا عن إساءتهم للعلماء؟

أَوَلَم يذكر التاريخ أن نابليون حينما دخل مصر فإنه قد لبس العمامة، والجبة، وحمل السبحة، ليحيك بعد ذلك الدسائس؟

أولا تعلم أن هناك سفهاء كانوا يلبسون العمائم يقفون على باب الأقصى الشريف مهمتهم أن يحلوا سير أحذية السياح الأجانب الكفرة، بينما يقوم آخرون بأخذ الصور لهم، كل ذلك مقابل دريهمات قليلة؟

فلعنة الله على مثل هذه السياحة ودخلها المزعوم.

18– وحين يسجن المطران كبوشي في سجون الاحتلال عدة أعوام فإن الدنيا تقوم ولا تقعد، والإذاعات والتلفزيونات تشجب وتستنكر، في حين أن الشيخ أبو طير مع أربعين شيخا آخر، قبله وبعده، سجنوا في سجون الاحتلال سنوات طويلة، ولكن أمتهم لم تذكرلهم حديثا، ولا خبرا.

---

(5) في الغرب كانوا يعتقدون أن رجال الدين لا يخطئون، لا في قول ولا في عمل ولا في تصرف، فإذا ثبت عكس ذلك كان ظهر مرض السفلس بين بعض رهبانهم، أو ثبت أن الأرض كرويه وتدور على عكس ما كانوا يقولون للناس ويعتقدون، فهذا يعني بالضرورة أنهم كاذبون وان دينهم خاطئ بداهة، وهذا ما حدث فعلاً، ولقد تهاوت الكنسية وبان كذب رجال الدين هناك وعادت الكنيسة لا تسيطر إلا على مشاعر بعض الناس واحاسيسهم. وحينما جاؤوا بالعلم ليضرب دين الإسلام جاء العلم فقبل يدي الإسلام ورجليه...ذلك لأن الإسلام له الفضل في الحث على العلم... وبفضله ظهرت العلوم قديمها وحديثها؛ لأن أول كلمة نزلت على محمد ﷺ هي ﴿اقرأ﴾ ... وكما أن علماء الإسلام لم يكذبوا على الناس، فلم ينسبوا لأنفسهم العصمة كما فعل غيرهم؛ لذلك فإن أخطاؤهم لم تشوه الإسلام، ولله الحمد في هذا وذاك.

19- وحين تموت مطربة فإنها تلف بالعلم الوطني ويُحمل نعشها على عربة مدفع، في حين يموت المقرئ الشيخ " محمد عبد الباسط عبد الصمد " صاحب الصوت العذب الندي الجميل فلا ينشر له خبراً ولا يرفع له ذكراً، إلا من جريدة كفر وعهر، تصوره كذباً[6] -رحمه الله- بأنه يحمل داخل جبته عوداً ويضع يده عليها، وتجري معه لقاء مصطنعاً تلفق عليه عشرات الأكاذيب.

فهل عبد الباسط-رحمه الله تعالى- كان كذلك أم أن بعض الجرائد التي تعيش في ديار الإسلام وللأسف خالية من الضمير إلى هذا الحد، وشعبنا ساذج إلى هذه الدرجة، والرقابة نائمة ومخدرة إلى حد الدياثة باسم حرية الفكر أو حرية الكذب.

20- وحين يموت المطرب الفلاني، فيموت لموته آخرون، ويقال بأنه انتحر لموته أشخاص، ويموت شيخ جماهيره أكبر وأكثر، وصوته أجمل وأعذب، فلا ينعى ولا يذكر إلا في جريدة واحدة فقط تقول عنه ما يلي: توفي الشيخ الفلاني – وتزعم كاذبة- أنه... قد كان يتقن الرقص والضرب على العود ... الخ، ولا يذكرون أنه كان يتقن القراءات العشر، ويتحف مليار مسلم بصوته الجميل، وترتيل آيات القرآن العظيم.

21- وحين ينسب للمطربة الفلانية – لكي يحببوها للشعوب المسكينة – أنها قد تبرعت لثوار الجزائر ضد فرنسا، بنصف مليون جنيه، تكون بالمقابل قد عملت لوجهها عملية كلفت نصف المليون، لكي تتخلص من تجاعيد السنين التي فاقت الستين – عدا العطل الرسمية والمناسبات (راجع كتاب همسة في أذن حواء).

ولنفترض أنها قد عملت ذلك ألم يقل الشاعر:

ومطعمة الأيتام من كد فرجها يا ليتها لم تزن ولم تتصدق

ولنفترض أن أموالها من حلال، فالذي تكون صدقته بنصف مليون فماذا يكون رأس ماله؟ !

ثم من أين أتت بالمال، إنها غنت لشعب من أفقر شعوب العالم، مما دفعه بأن يختصر من قوت عياله ليعطيها وفرقتها الموسيقية المصاحبة لها، ذلك المال الوفير، هذا إذا لم نقل أن الغناء والمعسّل، والحشيش هي أسباب فقر وحرمان ذلك الشعب المسكين.

25- وحين يُسأل المطرب الكبير جداً – ولعله أكبر من خروف – عن بداية تعرفه على الطرب؟ فيجيب قائلا: كان أخي الشيخ أحمد-رحمه الله- يشدني إلى المسجد ويمنعني من الذهاب إلى الموسيقار الفلاني، ولكني كنت أهرب.

---

(6)الدبلجة في التصوير معروفة، بحيث يخيل للناظر أن ما يراه هو حق بينما هو باطل وتزوير، وإلا كيف يرى الشخص يسلم على نفسه وكأنهما شخصيتين مستقلتين.(راجع إن شئت كتابي خمس حقائق إيمانية /فصل السحر أنواع) حيث تعرضت هناك لموضوع الدبلجة للصورة والصوت. وهذا أصبح معروفاً تماماً لمن له خبرة بالكمبيوتر.

فكأنه يريد أن يقول للناس: انظروا إلى ظلم المشايخ، لقد حاولوا عبثـــا أن يحرمـــوكم مـــن هـــذا المطرب "الفذ"، ولكن، الله ستر، وهذه هي النتيجة.

أيها المطرب الكبير: ألم تغنِ في أول حياتك أغنية تحث على قتال اليهود؟ فما بالك لم تمـــت حتـــى عزفت على السلام معهم؟ أم أن الوطنية تتبدل بتبدل المصالح.

أَوَ لَيْسَ حذاء الشيخ محمد رفعت هو أشرف من وجه هذا المطرب؟[7]. لقد كان أخوه يحاول عبثـــاً أن يصرفه من الغناء إلى الإسلام ولكن شيطانه كان كبيراً، فســـبق أخـــاه، وضـــمه إلـــى زمـــرة الشياطين.

(حكاية) إن الجعل (أبو جعرّان) حيوان يألف العذرة ويعيش يترنم ويكافح من أجل دحرجتهـــا، وإيصالها إلى أطفاله ليربيهم على ما ورثه من أجداده، ولكن:

إن أشد موتة يموتها هذا الجعل، هو أن تضع على أنفه قطرة عطر.

نعم فالجعل عنده حساسية قاتلة من الرائحة الطيبة ذلك أنه تعود على(العذرة).

26- وعندما غنت المطربة الكبيرة أغنية طويلة عام 1968 ألهت الجماهير فيها عن قضـــاياهم المصيرية، قيل لها كم بقيت تحضرين لهذه الأغنية؟ فقالت:عاما كاملا، وبحساب بسيط نقول:

$$1968 - 1 = 1967$$

يعني أنها بدأت تعد للأغنية عند احتلال الأقصى والضفة الغربية، والجولان وسيناء، فهل لأحد بعـــد ذلك أن يدعي بأنها أعطت الجزائر نصف مليون لدعم حركات التحرير.

ففي عام 67 كان أطفالنا مشتتون ونساؤنا وشيوخنا مشردون تحت المطر والثلج فـــي المخيمـــات، وهي تعد للغناء، ثم أليست هي التي كانت تردد المقطع الواحد من أغنياتهـــا لمـــدة ثلـــث ســـاعة، وحينما غنت لفلسطين كانت أقصر أغنية في حياتها فلم تتجاوز الأغنية بكاملها الخمسة دقائق فقط في أغنية:

(أصبح عندي الآن بندقية). ترم.

27- وحين جاءت مغنية لقضاء ليلة في بيت زعيم عربي، يزعم أنه سيعيد الحقوق المغتصـــبة إلى أهلها، أعطاها مبلغا من المال يفوق معاش الشيخ مصطفى طيلة حياته، فمتى ســـيعود الحـــق على يد من لا يعرف الحق.

---

(7)يقال: إن الملك فاروق طلب من الشيخ محمد رفعت –رحمه الله- أن يبدأ حفله خالعة في قصره الماجن ببعض آيات من القرآن الكريم، فرفض الشيخ محمد رفعت أن يجعل القرآن تغطية لعهره ومكره، فما كان منه إلا أن منع الشيخ من قراءة القرآن في الإذاعة حتى توفي-رحمه الله تعالى، ثم لما قامت الثورة أرادت أن تتحبب إلى الجماهير، فطلبت من الناس أن يأتوا بالتسجيلات الخاصة بالشيخ محمد رفعت؛ لكي يعملوا لها بعض الدبلجات، لإخفاء التشويش منها قدر الإمكان؛ كي تصبح صالحة لأن تبث من الإذاعة، ولكنها بقيت مشوشة.

أما قصة الشيخ مصطفى فهي قصة إمام عالم صادق صالح مخلص خلوق، كان يعيش في قرية ويأخذ راتباً شهرياً وصل إلى 11 دينار، ابتلى بعدة أمراض أعجزته عن القيام بواجبه، فعزم على الاستقالة، وعندما سمع أهل القرية بذلك ناشدوه بالله تعالى أن يبقى على رأس عمله، وأن يداوم قدر إمكانه، وتعهد له أهل القرية بأن ينظفوا المسجد ويؤذنوا، وسيقوم المقتدرون بالإمامة حال غيابه ومرضه، ولكن الشيخ قال:فمن يعذرني عند خالقي إن أخذت مال الأمة ولم أقم بواجبي؟!

قال له أحد الحاضرين: وهل المطربة فلانة أولى بمال الأمة منك؟! وعندما حسبوا ليلتها وجدوا أنها تعادل راتب الشيخ مصطفى لمدة سبعين سنة.!!!!!

ولكن الشيخ لم يقتنع بما قالوا وقدم استقالته وحينما لم تكن أمور العلاج عامة لكل الناس فوقع الشيخ بين فقر مدقع، ومرض شديد، ثم قضى نحبه﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب:23)

28- وحين كان مشايخ الكتاتيب كما يسمونهم هم الذين حافظوا على تعليم الناس القراءة والكتابة، جاء الاستعمار ليحرمهم من التوظيف بحجة أنهم لا يحملون شهادات.

ثم جاءت الحكومات المتعاقبة بعد الاستقلال تسير على النهج ذاته، بدلا من أن تكافئهم على صبرهم، ثم إن الأئمة في وزارات الأوقاف في بعض الدول كانوا لا يترفعون، بحجة أنهم لا يحملون شهادات، في حين أن وزارة التربية والتعليم في نفس تلك الدول كانت ترفع الأذنة في المدارس وهم أميون؛ بينما بعض القادة الكبار في تلك الدول إنما تعلموا القراءة والكتابة تحت أيدي هؤلاء العلماء !

فأي ظلم للعلماء أكبر من هذا الظلم؟!

المشاركات وأسئلة:

المشاركة (1): يقال أن هارون الرشيد أراد أن يختبر ذكاء أولاده فقال للأمين ائتني بعشرة حمير، فأخذ النقود واشترى عشرة حمير، وجاء بها إلى والده، فشكره على ذلك، ثم طلب من المأمون أن يأتي له بعشرة حمير، فقال لأبيه:

أمهلني بضعة أيام، وبعد صلاة الجمعة وقف في باب المسجد، وبدأ يسأل المصلين واحداً بعد واحد عن موضوع الخطبة، وماذا فهم منها، حتى جمع عشرة ممن كان حاضر الجسم غائب الذهن، وقدمهم وقال يا والدي هذا هو المطلوب، فقال هارون وكيف ذلك؟! قال:

إن الحمار لا يلام؛ لأنه هكذا خُلق، ولكن هؤلاء الذي أعطاهم الله تعالى السمع والبصر فأعرضوا فهم أجدر بهذا الذم من الحمير، وشكراً.

شكراً للأخ الكريم قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف آية(179).

ويا أخي الكريم لقد كنت على المنبر أخطب الجمعة فجلس أحدهم بجانب عمود ونام ثم حلم في نومه أنه يلف سيجارة وقام بذلك فعلاً..وعندما أراد أن يبللها بريقه نظر إلي وأنا على المنبر فاستفاق من نومه[8]، وهذا في تعداد السكان محسوب أنه من أمة محمدﷺولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المشاركة (2): الصحيح أن بعض المغرضين يحاولون أن يشوهوا صورة العلماء، فعندما أعدم السيد قطب الذي فسر القرآن العظيم، من ألفه إلى يائه، قال بعضهم لأصدقائه:

نعم لقد أعدموا هذا الذي يدعى أنه قطب الإسلام، بينما أنا قد سبحت مع بناته الأربع على شواطئ الإسكندرية، فقال له أحد الحاضرين:

كيف تقول هذا، وهذه جريدة الأهرام الناطقة بلسان الذي أعدمه تقول " توفي السيد قطب عن سبعين عاماً ولم يتزوج "؟!! فبهت الذي كفر.

المشاركة (3) (نكتة) حقاً إن الابن المنحرف مصيبة، فقد كان بعض الأمراء يسير في الليل يتحسس أخبار الناس فمر على رجل يتأوه ويقول (آه) فقال الأمير للمعاونين سجلوا باب داره، واطلبوه غداً للمقابلة، ثم مر الأمير على بيت آخر فوجد صاحبه يقول آه مرتين، وثالث يقول:آه ثلاث مرات، ورابع يقول: آه أربع مرات.

وفي اليوم التالي أُحضر الأربعة إلى الأمير سأل الأول: لماذا كنت تتأوه؟ فقال: إن عندي حماراً سيئ الخلق، فقال له الأمير: لماذا لا تبيعه وتشتري حماراً آخر، ثم تنام مرتاحا؟

أيها الحرس: اضربوه عشر جلدات،

ثم قال الأمير للثاني: ما شأنك؟ فقال: إن عندي داراً غير جيدة، فقال الأمير: ولماذا لا تستبدلها بأحسن منها وتنام مرتاحاً؟

أيها الحرس اضربوه عشرين، ثم قال الأمير للثالث ما شأنك؟ فقال: إن عندي زوجة لا تسمع ولا تطيع، فقال الأمير: ولماذا لا تطلقها وتتزوج بمن تسمع وتطيع؟

اضربوه ثلاثين، ثم جاء الرابع وهو يرتجف، فقال:

---

(8) طبعاً لم انزل عن ظهر المنبر لأضربه، رغم أنهم يتهمونني بأنني عصبي المزاج، ويدّعون بأنني اضرب من يتصرف بحماقة أمامي، ولكني بعد الخطبة الثانية قلت للمصلين: إنني طيلة حياتي لم اطلب جمع المال؛ لا لي ولا لغيري، ولكني اليوم سأجمع منكم لشراء وسائد وفراش وأغطية لمن يريد أن ينام أثناء الخطبة...!!!

أيها الأمير أنه ابني، فإن طلقته بقي ابني، وإن بعته بقي ابني، وإن استبدلته بقي ابني، إن طردته بقي ابني، وإن تركته بقي ابني، فقال الأمير حق لك أن تتأوه وتتوجع، وخذ هذه أربعين ديناراً، وأمر الحرس: أن يأتوا ابنه ويضربوه أربعين جلدة، حتى يتأدب مع والده. وشكراً.

شكراً أيها الأخ الكريم: فإن أبناء العلماء إن أثر عليهم المجتمع المنحرف صار الناس يعيبون ذلك عليهم في حين أن المصيبة عامة ويجب على الجميع أن يتعاونوا في حلها.

هذا مع العلم بأننا لا نعفي العلماء من مسؤولية تربية أبنائهم والدعاء لهم بأن يهديهم الله تعالى.

المشاركة (4) نكتة: يقال: إن جحا كان يركب على حماره بينما كان ابنه يسير خلفه فمروا بجماعة فقالوا:

انظر إلى هذا الأب ما اظلمه، إنه يركب وابنه يمشي. فنزل الأب وطلب من الولد أن يركب، فمروا بجماعة أخرى فقالوا:

ما أقل أدب هذا الولد إنه يركب ووالده يمشي على رجليه، فقال جحا لولده:

لنركب معاً يا ولدي، فمروا على آخرين فقالوا:

ما أظلمهم كلاهما يركب على الحمار، فنزلا عن الحمار.فمروا على غيرهم فقالوا:

انظروا إلى هذين الأبلهين يمشيان مع الحمار كأنه صديق لهما، فالتفت جحا إلى ابنه وقال:

لم يبق يا ولدي إلا أن نحمل الحمار على أكتافنا!!

وفي هذا دليل على إن إرضاء الناس غاية لا تدرك... وشكراً.

شكراً أيها الأخ الفاضل: فإذا ركز الناس أنظارهم بالانتقاد إلى العلماء فإنها أكبر مصيبة.

انظر إلى بعض أهل الديانات الأخرى، كيف أنهم يعتقدون العصمة برجال الدين، وأنهم مقدسون، بينما أصيب بعضهم بالسيلان، والزهري، وبعضهم بالإيدز، وبعضهم أدين بالاتجار بالمخدرات، وآخرون بالرشوة، ولا يزالون ينعتونهم بالصفات الطيبة. على عكس بعض المتمسلمين َولا أقول المسلمينَ، الذين لا يطيب لهم سوى التكلم على العلماء وليتهم عرفوا أخطاءهم أولا وامتثلوا قول الشاعر: لو نظر الناس إلى عيبهم:ما عاب إنسان على الناس

أن البعض كمثل الجمل الذي ينظر إلى بقية الجِمال فيستهزئ عليها لأنها رقابها عوجاء ... ولكنه لا ينظر إلى رقبته هو.

المشاركة (5): أود أن أذكر قصة تبين خطأ الذين يطلبون من الشيخ أن يكون شـــجاعاً، وهـــم جبناء، ويحبون أن يضعوا الشيخ في ورطة، ويتركونه عند الضيق تقول القصة [9]:

إن أحد العلماء كان له عشرة آلاف تلميذ، يحرصون على حضور دروسه، فقام بعض الحاقـــدين بالدس عليه عند حاكم ذلك الزمان، فأرسل الحاكم رجال الشرطة لإحضاره، وعنـــدما نـــاداه قائـــد الشرطة من باب المسجد، قام الشيخ إليه فلم يقم أحد معه، بل أفسحوا الطريق للشيخ حتـــى يصـــل إلى الشرطة، فذهبوا به إلى الحاكم، فأمر بإيداعه في السجن، وبدأ تلاميذ الشيخ بالتكهن ويقولون: لعله تكلم بالسياسة...؟! لعل له تنظيم سري...؟! لعله عميل...؟! لعله مهرب حشيش...؟! لعل ولعل ...الخ.

وكان الحاكم عاقلاً فنادى الشيخ وقال له:

سمعت أن لديك رجالاً كثيرون يأتمرون بأمرك وينتهون بنهيك، فكم عددهم؟ فقال الشيخ:

عندي رجل ونصف رجل، فقال له:

بل عشرة آلاف رجل، فقال الشيخ:

أنا أثبت لك أنهم رجل ونصف فقط، فهل تستطيع أن تثبت أن عندي عشرة آلاف رجـــل؟ فقـــال الحاكم:

وأين الرجل، وأين نصف الرجل، قال الشيخ:

انظر إلى ذلك الرجل الذي دخل من باب قصرك يحمل فأساً فلم يُخـــف أحـــداً. ولقلـــة اكتراثـــه بالحراس، فإن الحراس ظنوا انه عامل في الحديقة فبعد قليل يصل إلينا وعندما وصل قال للشيخ:

مرني بما بدا لك أيها الشيخ فقال الشيخ:

شكراً يا ولدي لا أريد منك شيئاً اذهب إلى الدرس وانتظرني حتى أعود. فقال له الحاكم:

اشهد بالله أن هذا رجل وأيما رجل، فأين هو نصف الرجل فقال:

انظر إلى مدخل القصر أرأيت ذلك الرجل الذي يذهب ويأتي ويفرك بيديه، قال: نعم، قال الشيخ:

ذاك نصف الرجل إنه يشتاق إلي فيأتي، ويرى الحرس فيخاف، فيذهب ويفرك بيديه لأنه محتار قال الحاكم إذاً قم معنا نذهب إلى المسجد ... وشكراً.

شكراً يا أخي الكريم: وان هناك رجالاً أو قُل أشباه رجال يريدون من الشيخ أن يدافع عنهم، دون أن يقدموا هم شيئاً، فقد اتصل بي أحدهم وقال: يا سيدي الشيخ أن فلاناً يطالبني بأن أحلق ذقنـــي، فقلت:

---

(9) راجع كتاب: فأين الله، لأستاذي الشيخ محمد حسن الحمصي في سلسلته الرائعة قصص من التاريخ، فقد ذكر القصة نفسها.

وما دخلي بذقنك، فقال: ألست شيخنا؟! فقلت:

بلى ولكن هذه اللحية موجودة في وجهك وليست في وجهي.

فقال: وأين دور العلماء في الدفاع عن الحرمات؟ فقلت:

وأين دور الرجال الذين يحيطون بالعلماء؟ ثم قلت له:

هب أني قد قصرت بواجبي أتنتظر حتى يخلق الله لك شيخاً غيري يدافع عنك، أم تدافع عن نفسك؟ قال: بل أدافع عن نفسي، فقلت:

فدافع إذاً.

وبعد ما عرف هذا المسكين واجبه ذهب إلى ذلك الرجل ودخل عليه وهدده قائلاً: لئن تعرضت لي بعدها بسوء فلا تلومنَّ إلا نفسك، سأهينك أمام جميع الحضور، وليكن ما يكن. وسارت الأمور بعدها على ما يرام.

المشاركة (6) بين معاملة الشيخ ومعاملة الكوافير:

جاء رجل بابنته إلى الكوافير لكي يجهز ابنته للعريس–رغم حرمة ذلك– وبعد الانتهاء قدم للصالون عشرون ديناراً، واعتذر من قلة ذات يده، وبعد أسبوع واحد مات والده، ورغم أن غسيل الميت من واجب أهله وذويه، إلا انه طلب من الشيخ أن يغسله.

وبعد أن انتهى الشيخ من غسيل الجنازة، قام الرجل بدس دينارين فقط في جيبه، فحاول الشيخ أن يمتنع عن أخذها، فأصر عليه، ثم ذهب إلى وزارة الأوقاف واشتكى عليه بأنه يأخذ أجراً على غسل الأموات، وأترك القصة بلا تعليق ([10]).

المشاركة (7) لو سألنا أنفسنا ما المقصود بأن يتكلم أعداء الإسلام على العلماء لكان الجواب كالتالي:

حين يقال للأمة المتضايقة أن الغرب يخططون لضربكم وان الشرق يتخلى عنكم. فإنهم سيلجئون إلى الله ويعرفوا بقرارة أنفسهم أنه لا بد من العودة إلى الدين، وهذه قناعة تتزايد بين الشباب والحمد لله يوماً بعد يوم.

لكن عندما يقال أن الغرب والشرق ضدكم، كما أن العلماء الذين هم عنوان الدين هم أيضاً ليسوا على مستوى المسؤولية، فإن الشباب المتضايق سيفقد الأمل، وبعدها قد يلجأ بعضهم إلى السكر أو الانتحار وهذه هي فائدة التهكم على العلماء بنظري والله أعلم.

شكراً يا أخي الفاضل، يقول جل وعلا: في سورة البقرة آيه217

---

[10] عتبت على الدنيا لرفعة جاهل وخفض لذي علم فقالت خذ العذرا
بنوا الجهل أبنائي لهذا رفعتهم بنوا العلم أبناء لذرتي الأخرى

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا ﴾

ويقول تعالى أيضاً في آخر سورة الطارق:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾

أما الأمل أيها الأخ الكريم فإنما هو بالله وحده، لا بالمشايخ، ولا بشرق ولا بغرب؛ ذلك لأن الله تعالى هو الذي تكفل بحفظ هذا الدين، وشكراً.

المشاركة (8) لو جاء رجل إلى علم بلاده المرفوع فأنزله ومسح به حذاءه بحجة إنه قماش فما هي نظرة الناس إليه والى منطقه هذا؟!

نعم والشيخ هو إنسان يخطئ ويصيب ولكن جعله هدفاً للانتقاد هو ظلم للأمة بأسرها؛ لأنه ممثل للأمة وشكراً.

شكراً للأخ الفاضل: واعلموا أيها الإخوة أن الأمة التي تحترم علماءها هي الأمة التي تستحق النصر، والأمة التي تهين علماءها لا بد لها من الذل والهوان، ولنا في قصة الأمام العز بن عبد السلام عبره وأيما عبرة، فهو حينما أمره حاكم مصر أن يخرج منها، خرج، ولكن القاهرة كلها قد خرجت في أثره،... إلى آخر القصة.

وكان النصر حليف تلك الأمة الإسلامية في زمن احترامها للعلماء (راجع كتاب بائع الملوك).

مشاركة (9): دخلت إلى مستشفى، فإذا بالناس ينتظرون بالطبيب المتأخر، وبعد ساعات وصلنا إلى الدور مستمعين إلى تعليمات الطبيب الذي لم يكن كثير المبالاة بالمراجعين، ثم وقفنا أمام الصيدلية بطابور آخر، وقضينا بقية النهار حتى أدركنا الدور، ناهيك عما شاهدناه من طوابير على المختبرات، والأشعة إلى غير ذلك من الأماكن التي يحتاجها المريض من أجل الفحوصات، والتحاليل.

وفي هذه اللحظة دار في خلدي، لو كانت معاملة الشيخ لنا بهذه الطريقة فكم يبقى من المصلين خلفه؟ أم من سيسكت على تصرفاته هذه؟ فقلت: أهل العلم صحيح مساكين.

مشاركة (10) يصور بعض الكتبة هارون الرشيد-رحمه الله- بأنه رجل خمر ونساء وصداقة مع أبو نواس الذي يقال عنه بأنه ماجن.

وعندما نرجع إلى التاريخ الصحيح نجد أنه: كان يحج عاما ويغزو عاما وكان جليس العلماء يعظونه فيبكي حتى يرحمه من حوله.

يحج عاما من بغداد إلى الحجاز على البعير لا بطائرات نفاثة و لا بسكن مكيّف، ويغزو عاما بنفسه ويغار على حرمات الإسلام.

ويكفي أنه عندما استولى نقفور على مُلك الروم وأرسل رسالة إلى هارون الرشيد يطلب إليه أن يرد الجزية التي أخذها من الملكة التي كانت قبله وأن يدفع الجزية عنه ون المسلمين. فإن هارون الرشيد – رحمه الله– رد عليه بأن كتب له على ظهر الورقة (أي لم يتكلف له ورقة جديدة) ما يلي:

"من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم أما بعد فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك يا بن الكافرة".

وكان الجواب جيش من أوله عند نقفور وآخره عند هارون.

فإذا وجدنا شخصا يريد أن يدس على هارون الرشيد –رحمه الله– فإنما هو رجل يريد أن ينهش هارون الرشيد في قبره انتقاما لأجداده أو تملقاً لأسياده وكما يقول الشاعر:

البحر تعلو فوقه جيف الفلا والـــــــــــدر منبوذ بأسفل رمله

كم سيد متفضـــــــــــل قدسَبه من لا يساوي غرزة في نعله

شكراً للأخ الكريم: كما أن بهاء الدين قرقوش – رحمه الله – كان المصمم لبناء قلاع المسلمين لصلاح الدين الأيوبي – رحمه الله– وحينما أسره الصليبيون فقد عرض فداءً له كل أسرى الصليبين مع أموال طائلة دون جدوى. هذا البطل الشهم يؤلف فيه أحد الحاقدين كتابا ويوزع بين "المسلمين" ويصبح ذكره للتندر فيقال: حكم قرقوش.

ولا ننسى أن الفرنجة كانت تخاف من البربر؛ لأنهم أسهموا إلى حد بعيد في تثبيت حكم المسلمين في الأندلس؛ فكانوا إذا سمعوا بهم صاروا يقولون بربر بربر. فصار " البلهاء" من المسلمين اليوم يرددون بلا وعي كلمات مثل "هجمات بربرية " ويسيئون لهم من حيث لا يشعرون.

مشاركة (11) كان هناك مدرس لطلاب الماجستير يوحي لطلابه بأن طه حسين كان يقصد من كتابه: الشعر الجاهلي. أن يشكك بأصالة الشعر الجاهلي ويقول عنه أنه منحول: أي مكذوب. فإذا ثبت له ذلك؛ كان استدلال المفسرين للقرآن الكريم غير صحيح. وهذا مطعن على الإسلام !

ويسر الله له عالما قال له: يا ولدي حين تقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المزمل:20) فهل تحتاج إلى تفسير؟! قال لا.

قال العالم: وحين تسمع قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:90)

فهل تحتاج إلى الشعر الجاهلي؟!قال: لا.

قال العالم: وحين تسمع قوله تعالى:﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (البقرة:120)

فهل تفهم ذلك بوضوح؟!قال: نعم.

قال العالم: وحين تطالع قوله تعالى:﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً۞إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (الاسراء:26)

وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج:78) فهل تحتاج إلى المعجم؟! قال: لا.

قال إذا فلا حاجة لكل الشعر الجاهلي أصلا لفهم 99%من مفردات القرآن الكريم.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فما وهنت وآذت قرنها الوعل

شكراً للأخ الكريم. وقد سألني أستاذي الشيخ نور الدين العتر –حفظه الله– في الفحص سؤالاً هو: حين نعرف أن بن لهيعة ضعيف فلماذا كان يروي عنه الطبري؟قلت له يا أستاذي رسبني في الامتحان بشرط أن تجيبني عن هذا السؤال قبل أن أخرج من عندك؛ لأنه مهم.

فقال: لأن قوة سنده أقوى من سند الشعر على كل حال. وهو عربي وقبل العجمة؛ فكان يستدل به لكونه لغة عربية لا لكونه حديثا مرويا.

نعم: رسبت في الامتحان، ونجحت في أخذ الجواب. وأرجو ﷲ تعالى ثوابها في الدنيا والأخرى. فالمهم ليس شهادة توضع على الحائط. وليستجلب بها الرزق. ولكن المهم فهم الإسلام.

فعن كعب بن مالكﷺ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار(الترغيب والترهيب ج: 1ص: 66/ 178)

نخلص إلى:أن اللغة العربية محفوظة بدون الشعر الجاهلي جملة وتفصيلا.فلتذهب نظرية الشعر الجاهلي إلى الجحيم..

عود على بدء:

لابد يا إخوتي الكرام من أن نجل علمائنا ونفهمهم، ونفهم همومهم، ونعرف أنهم بشر مثلنا. و بنفس الوقت يجب أن نحذر من المندسين بينهم.

ففي المستدرك ج: 1 ص: 421/211 عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا)) 422

وفسر الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ﷺأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم بأنهم أولي الفقه والخير 423 و عن بن عباس ﷺ (تفسير أولي الأمر) يعني أهل الله وأهل طاعة الله الذين يعلّمون الناس معالي دينهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فأوجب الله طاعتهم وهذه أحاديث ناطقة بما يلزم العلماء من التواضع لمن يعلمونهم.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن من إكرام جلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم والإمام العادل وحامل القرآن لا يغلو فيه ولا يجفو عنه)) رواه الطبراني في الأوسط(مجمع الزوائد ج: 5 ص: 215)

كلمة أخيرة:

يا علماء الإسلام: إن الناس لم يروا رسول ﷺ محمداﷺ ولكنهم قد رأوكم؛ واعلموا أن الحكم دائما على الأغلبية ما عدا الحكم على المشايخ وهذا والله في الحقيقة إنما هو تكريم لكم حيث لم يتوقعوا منكم إلا كل خير فعليكم أن:

1-أن تكونوا على قدر المسؤولية بأن تكونوا رجالا تتكلمون الحقيقة؛ علما بأن قولها لا يقدم في القدر ولا يؤخر.

2-أن تكون كلمة الحق ممزوجة بالحكمة فالرفق ما دخل في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه.

3-لا تنسوا أنفسكم من الدعاء فهناك أدعية للدخول وللخروج وللكروب فلا يزال لسانكم رطبا بذكر ﷺ تعالى.

4- ليكن قلبكم مرتبطا بالله تعالى فالإخلاص يحرق كل العوائق.

5- أن تفهِّموا الناس أن نشر الدين ليس واجبكم لوحدكم وإنما هو واجب الجميع (وكما مر معنا في كتابي 5 مقالات في مداخل الإيمان/فصل نشر الإسلام) ولذا يجب أن تدربوا الناس على أعمالكم الدينية،وأن تشعروهم بأهميتهم وذلك بمشاورتهم في الأمور:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران:159)

6- أن تفهموا الناس بأنكم لستم معصومين عن الخطأ، وان لا تستحيوا من أن تبينوا فضل العلماء وتبينوا ما قلناه في هذه المحاضرة من كيد الأعداء... وتبينوا واجب الناس تجاهكم فهاهم

الكفار يحترمون ما يسمى"رجال الدين" بل وإن الشيعة يقدمون خمس أرباحهم السنوية لعلمائهم بل ووضعوا أنفسهم أمام الدبابات لدعم علمائهم.

وأعلموا أن من لانت كلمته وجبت محبته

والحكمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (البقرة:269)صدق الله العظيم

7- من صفات الداعية الناجح أن يكون ذكيا فطنا نظيفا خلوقا

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأكره الكفر والإفلاس في الرجل

ولا بأس أن يكون ثوبه حسن ونعله حسن فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وقد كان لرسول الله ﷺ عباءة يلبسها لملاقاة الوفود، كما أوصى صحابته الكرام أن يكونوا كالشامة في أعين الناس

قصة: فقد دخل الشافعي –رحمه الله عند قوم بلباسه المتواضع، فلم يأبهوا له بينما كان هناك نصراني مرابٍ يلبس جيدا فاحترموه. وفي الليل كتب الشافعي في رقعة ووضعها تحت الفراش:

تبات الأسد في الغابات جوعا ولحم الضأن يطرح للكلاب

أخنزير ينام على فراش وطالب علم ينام على التراب

وعندما عرفوا أن ضيفهم الذي أهملوه كان عالماً شاعراً ندموا أشد الندم

وحين زارهم في المرة الثانية لم يعرفوه لشدة ما كان يلبس من جديد فكتب:

حسِّن ثيابَك ما استطعت فإنها زين الرجال بها تعز وتكرم

اللهم حسن ظاهرنا وباطننا يا كريم

والحمد لله رب العالمين